

شرح

# كشِفُ الشُّبُهَاتِ

تصنيف الإمام  
محمد بن عبد الوهاب بن سليمان القحطاني  
ت ١٢٠٦ رعه الله رعه واسعه

شرح فضيلة الشيخ  
محمد ابن عبد الله المالكي

## قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

الشُّبْهَةُ السَّادِسَةُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُعْطِيَ الشَّفَاعَةَ وَأَنَّهَا تُطْلَبُ مِنْهُ.

فَإِنْ قَالَ: النَّبِيُّ ﷺ أُعْطِيَ الشَّفَاعَةَ، وَأَنَا أَطْلُبُهُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ؟

فَالْجَوَابُ: أَنَّ اللهَ أَعْطَاهُ الشَّفَاعَةَ، وَنَهَاكَ أَنْ تَدْعُوَ مَعَهُ أَحَدًا، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا

تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وَطَلَبْتَ مِنَ اللهِ شَفَاعَةَ نَبِيِّهِ ﷺ عِبَادَةً، وَاللهُ نَهَاكَ أَنْ تُشْرِكَ فِي هَذِهِ

الْعِبَادَةِ أَحَدًا، فَإِذَا كُنْتَ تَدْعُو اللهُ أَنْ يُشَفِّعَهُ فِيكَ؛ فَاطَّعُهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾ [الجن].

## الجواب الثاني:

وَأَيْضًا: فَإِنَّ الشَّفَاعَةَ أُعْطِيَهَا غَيْرُ النَّبِيِّ ﷺ، فَصَحَّ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يَشْفَعُونَ، وَالْأَفْرَاطَ يَشْفَعُونَ، وَالْأَوْلِيَاءَ

يَشْفَعُونَ، أَتَقُولُ: أَنَّ<sup>(١)</sup> اللهُ أَعْطَاهُمُ الشَّفَاعَةَ فَأَطْلُبُهَا مِنْهُمْ؟

فَإِنْ قُلْتَ هَذَا وَجَوَزْتَ دُعَاءَ هَؤُلَاءِ؛ رَجَعْتَ إِلَى عِبَادَةِ الصَّالِحِينَ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ فِي كِتَابِهِ.

وَإِنْ قُلْتَ: لَا؛ بَطَلَ قَوْلُكَ: أَعْطَاهُ اللهُ الشَّفَاعَةَ، وَأَنَا أَطْلُبُهُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ.



## قال الشارح وفقه الله:

قال رحمه الله: (فَإِنْ قَالَ: النَّبِيُّ ﷺ أُعْطِيَ الشَّفَاعَةَ) يُرِيدُ أَنْ يَتِمَّ مَا كَانَ قَدْ بَدَأَهُ بِالْأَمْسِ فِي قَضِيَّةِ

احْتِجَاجِهِمْ بِالشَّفَاعَةِ أَنَّهُ قَالَ: (أَتَنَكَّرُ شَفَاعَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتَبْرَأُ مِنْهَا) فيقول: (فَإِنْ قَالَ: النَّبِيُّ ﷺ أُعْطِيَ

الشَّفَاعَةَ، وَأَنَا أَطْلُبُهُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ؟)، وَهِيَ بِمَعْنَى أَطْلُبُ مِنْهُ، قَالَ: (فَالْجَوَابُ) عَنْ هَذِهِ الشُّبْهَةِ، لِأَنَّ هَذِهِ

شُبْهَةٌ كَأَنَّهُ يَقُولُ: النَّبِيُّ ﷺ هُوَ كَرِيمٌ، وَهَذَا مَعْرُوفٌ مِنْ خُلُقِ النَّبِيِّ ﷺ، وَاللهُ أَعْطَاهُ الشَّفَاعَةَ، بِمَعْنَى أَنَّ

اللهَ وَعَدَهُ بِالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ وَهُوَ الشَّفَاعَةُ الْعَظِيمَى، وَلَهُ شَفَاعَاتٌ غَيْرُ الشَّفَاعَةِ الْعَظِيمَى، لَكِنَّ اللهُ لَمْ يُعْطِهِ

الشَّفَاعَةَ مُلْكًا لَهُ يَتَصَرَّفُ فِيهَا كَيْفَ يَشَاءُ، وَلَكِنَّ النَّبِيَّ ﷺ هُوَ شَافِعٌ مِنَ الشَّافِعِينَ الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ:

(١) وهذا هو الصواب بالنصب.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، لذلك جاء في حديث الشفاعة الطويل أنه ﷺ يأتي يسجد تحت العرش، ويفتح الله عليه بمحامد لم يكن يعرفها من قبل، فيقول الله ﷻ له: يا محمد، ارفع رأسك، وسل تعطه» يعني في ذلك الوقت هو يأتي ويسجد، لو كان يملكها هو جاء الآن يستأذن ربه في أن يشفع، ثم يأذن له الله ﷻ أن يشفع قال: «ارفع رأسك وسل تعطه، واشفع تُشفع»، فعندها يشفع في البدء في الحساب.

قال: (فالجواب: أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُ الشَّفَاعَةَ، وَنَهَاكَ أَنْ تَدْعُو مَعَهُ أَحَدًا) يعني عن سؤالك غير الله، الله أعطى الشفاعة للرسول ﷺ ونهاك أن تدعو غير الله: ﴿وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] وفي آيات كثيرة أنكر الله ﷻ على الذين يدعون غيره، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فبين أن دعاء غير الله منهيي عنه، وكذلك في قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَإِنَّا لَمَّا كُنْتُمْ تَدْعُونَ﴾ إذا أنتم كنتم تعبدونهم، فسؤال الله غير دعاء، وهو عبادة بل هو أعظم العبادات، ولهذا لا يصح أن يُسأل أحد الشفاعة إلا الله، لأنها مثلك لله، وما كان ملكًا لله فلا يجوز لأحد أن يطلبها من غيره.

ثم قال: (فَإِذَا كُنْتَ تَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُشَفِّعَهُ فِيكَ؛ فَأَطِئْهُ) يعني ما تدعو الرسول، وصرت أن تدعو الله أن يُشفع فيك نبيه، إذا يجب أن تُطيع الله في قوله: (في قوله: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ]، فترك عبادة كل أحد.

ثم قال: (وَأَيْضًا: فَإِنَّ الشَّفَاعَةَ أُعْطِيَهَا غَيْرُ النَّبِيِّ ﷺ) ليس وحده ستدعو كل أحد تدعو الملائكة وتدعو الصالحين تدعو الأفرط جمع فرط وفرط، والفرط: هو الطفل يموت قبل سن البلوغ يُسمى (فرط) والفرط هو السابق لوالديه، فهل أنت ستدعو حتى هؤلاء لأنهم شفعاء؟ الجواب: لا، لا يفعلونه، ولا يجوز أن يفعلوه، لهذا قال: (فَصَحَّ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يَشْفَعُونَ، وَالْأَفْرَاطَ يَشْفَعُونَ، وَالْأَوْلِيَاءَ يَشْفَعُونَ).

ثم قال: (أَتَقُولُ: أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُمْ الشَّفَاعَةَ فَأَطْلُبُهَا مِنْهُمْ؟) هذا لا يقوله عاقل ولا يقوله من يعلم معنى

العبادة ومعنى الطاعة والعقيدة.

ثم قال: **(فَإِنْ قُلْتَ هَذَا)** يعني أقررت أنك تطلب الشفاعة من غير الله كالأنبياء والملائكة والأولياء والأفراط إذا أنت رجعت إلى عبادة غير الله التي ذكرها الله في كتابه، لماذا؟ لأنك تدعو غير الله، والدعاء هو العبادة كما قال الله ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، فالذين لا يدعونهم هم الذين استكبروا عن عبادته، إذا هي عبادته، فالله ﷻ قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ [غافر: ٦٠]، فعلى هذا يكون دعاؤك أيها الداعي لغير الله وسؤالك له الشفاعة، هذا يكون من صرف العبادة لغير الله، بل أعظم العبادات وهي الدعاء، أعظم العبادات الدعاء.

قال: **(وَأَنَا أَطْلُبُهُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ)**، هذا محض الكذب تطلبه مما أعطاه الله في الدنيا طلب النبي ﷺ أشياء كثيرة في الدنيا فأعطاه، طلبه إنسان إزار، ولبسه النبي ﷺ فلما رآه الصحابي قال: يا رسول الله، هبني إياه، قال: «هي لك»، ثم ذهب إلى بيته، فنزعها ولبس غيره وأعطاه إياها. وكثيراً ما جاءوا وقالوا: جاءه السؤال يسألونه أعطنا كذا أعطنا كذا، وعلى كل حال: طلب الشفاعة من غير الله شرك، ولن ينال من سأل غير الله لن ينال ما سأل.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، حَاشَا وَكَأَلَا، وَلَكِنِ الْإِلْتِجَاءَ إِلَى الصَّالِحِينَ لَيْسَ بِشُرْكَ.  
فَقُلْ لَهُ: إِذَا كُنْتَ تُقِرُّ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الشُّرْكَ أَعْظَمَ مِنْ تَحْرِيمِ الزَّنا، وَتُقِرُّ أَنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُهُ، فَمَا هَذَا الْأَمْرُ  
الَّذِي عَظَّمَهُ اللَّهُ ﷻ وَذَكَرَ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُهُ؟!، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي.  
فَقُلْ لَهُ: كَيْفَ تَبْرِيءُ نَفْسِكَ مِنَ الشُّرْكِ وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُهُ؟  
كَيْفَ يُحَرِّمُ اللَّهُ عَلَيْكَ هَذَا وَيَذْكَرُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُهُ وَلَا تَسْأَلُ عَنْهُ وَلَا تَعْرِفُهُ؟، أَتَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ ﷻ يُحَرِّمُهُ هَذَا  
التَّحْرِيمَ وَلَا يُبَيِّنُهُ لَنَا؟!



قال الشارح وفقه الله:

قال: (فإن قال) ما زال يُجري هذا الحوار الذي هو معهودٌ من هؤلاء الكفار، وهذا أمرٌ معهودٌ منهم،  
ولذلك يقول: (فإن قال، فإن قال) لأنهم يقولون هكذا، لكن هو مُرادُه أن يُلقنك الردود كيف ترد عليهم.  
قال: (فإن قال: أَنَا لَا أُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا) نفى ذلك أو أنكر، وهو لا يعتبر أن سؤال غير الله الشفاعة أنه  
شرك، يقول: (حَاشَا وَكَأَلَا) يُنزه نفسه عن ذلك أنه يُشرك بالله، ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك،  
وهذا من أعجب العجب، الالتجاء لغير الله ليس بشرك، والله ﷻ بين ذلك في القرآن في مواطن عدة، كما  
في قوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ  
اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣]. الشاهد  
قوله: (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) هذا التجاء، التجأت إليه ودعوته.

والله يُبين ضعف هذا المدعو التام أيًا كان حتى لو كان جبريل فهو ضعيفٌ ضعفاً تاماً، محمد ﷺ  
ضعيفٌ ضعفاً تاماً حتى في حياته، لذلك كان يقول: (لا حول ولا قوة إلا بالله)، أي لا حول لي لا قدرة  
ولا قوة لي إلا بالله، هذا دليل ضعف، لذلك من التجأ إلى غير الله، ولو كان الملتجأ إليه صالحاً من  
الصالحين، أو نبياً من الأنبياء والمرسلين، فإنه يكون شركاً، ولا يجوز.

ثم قال رحمه الله تعالى: **(فَقُلْ لَهُ: إِذَا كُنْتَ تُقِرُّ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الشَّرْكَ أَعْظَمَ مِنْ تَحْرِيمِ الزَّانَا)** الله ﷻ في القرآن يبين ذلك، قال: **(﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]**، وقال تعالى: **(﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]**، وقال سبحانه وتعالى: **(﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٨]**، ولم يذكر هذا الجزاء في ذنبٍ آخر أبداً مهماً كبيراً، حتى قتل النفس ما قال أنه يحبط العمل، إلا الشرك، فإذا كان هذا في الشرك الذي هو أعظم الذنوب، كما جاء في الحديث سئل النبي ﷺ أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك».

قال: **(وَتَقِرُّ أَنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُهُ)** لأنه ثبت في سورة النساء: **(﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨]**، قال: **(فَمَا هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي عَظَّمَهُ اللَّهُ ﷻ وَذَكَرَ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُهُ؟!)** ما هو صِفه، لا تقل: شرك فقط، صِفه، ما هو هذا الشرك؟ كيف يصنع الإنسان حتى يستحق هذا العباد علمنا حتى لا نعمل هذا العمل ونبتعد عنه، فما هو هذا العمل؟ لن نستطيع أن يقول: سؤال الصالحين ليس هو هذا العمل، لأن الأمثلة في القرآن على أن دعاء الميتين، ولو كان في الشفاعة التي وعدوا بها هو شركٌ.

ثم قال: **(فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي)**، ما قال: فإن قال: لا أدري. لأنه لن يقول: لا أدري، وإنما سيكابرو ويلف ويدور كما يقولون، يبدأ يأتي بعموميات يأتي بكلام لا يفهم ولا يفهمه هو.

قال: **(فَقُلْ لَهُ: كَيْفَ تُبْرِي نَفْسَكَ مِنَ الشَّرْكِ وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُهُ؟)** أنت ما تعرف ما هو الشرك أصلاً تسمع باسم فقط تردد الشرك الشرك، لكن صِفه الشرك ما تعرفه، فإذا كنت لا تعرف هذا الشيء، فكيف تُبري نفسك منه؟ كيف تقول: أنك حاشا وكلا أرتكب هذا، كيف وأنت لا تعرفه، قد تكون الآن مُتلبس به وأنت لا تعرف أنه شرك، إذا لا بد عليك أولاً أن تتعلم ما هو الشرك حتى تستطيع أن تفهم النصوص الواردة في التحذير من الشرك.

قال: **(كَيْفَ يُحَرِّمُ اللَّهُ عَلَيْكَ هَذَا وَيَذْكُرُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُهُ وَلَا تَسْأَلُ عَنْهُ وَلَا تَعْرِفُهُ؟)** الله حرمه وبين أنه

حرمه في القرآن، وذكره وذكر أنه لا يغفره في القرآن وأنت لا تسأل عن هذا الشيء ولا تعرفه، إذا أنت فرطت وأهملت، كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ \* قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا \* قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا \* أي أعرضت عنها، لن تسأل ولن تتعلم ﴿وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦] يعني تترك لا يُنظر إليك، ولا تُجازى بالحسنات التي كُنت تعملها؛ لأنها حبطت تلك الحسنات بسبب هذا العمل الذي قُمت به.

ثم قال: **(أَتَنْظُرُ أَنَّ اللَّهَ ﷻ يُحَرِّمُهُ هَذَا التَّحْرِيمَ وَلَا يُبَيِّنُهُ لَنَا؟!)** هذا من المُحال، لأن هذا ضد

الحكمة، والله ﷻ قد بينه أوضح بيان في القرآن، أكثر ما بين الله ﷻ في القرآن الشرك ليحذره الناس.

### قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

الشُّبْهَةُ الثَّامِنَةُ: فَإِنْ قَالَ: الشِّرْكَُ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ، وَنَحْنُ لَا نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ.

الجواب الأول: فَقُلْ لَهُ: مَا مَعْنَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ؟

أَتَظُنُّ أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ تِلْكَ الْأَخْشَابَ وَالْأَحْجَارَ وَالْأَشْجَارَ تَخْلُقُ وَتَرْزُقُ وَتُدَبِّرُ أَمْرَ مَنْ دَعَاهَا؟!،

فَهَذَا يُكَذِّبُهُ الْقُرْآنُ.

وَإِنْ قَالَ: إِنَّهُمْ يَقْصِدُونَ خَشْبَةً، أَوْ حَجَرًا، أَوْ بُنْيَةً عَلَى قَبْرِ أَوْ غَيْرِهِ، يَدْعُونَ ذَلِكَ وَيَذْبَحُونَ لَهُ

يَقُولُونَ: إِنَّهُ يُقَرِّبُنَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى، وَيَدْفَعُ عَنَّا اللَّهُ ﷻ بِرِكَتِهِ وَيُعْطِينَا بِرِكَتِهِ.

فَقُلْ: صَدَقْتَ، وَهَذَا هُوَ فِعْلُكُمْ عِنْدَ الْأَحْجَارِ وَالْبُنَايَا الَّذِي عَلَى الْقُبُورِ وَغَيْرِهَا، فَهَذَا أَقْرَبُ أَنْ فِعْلُهُمْ

هَذَا هُوَ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ، وَهُوَ الْمَطْلُوبُ.

وَأَيْضًا: قَوْلُكَ: الشِّرْكَُ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ، هَلْ مُرَادُكَ أَنَّ الشِّرْكََ مَخْصُوصٌ بِهَذَا، وَأَنَّ الْاِعْتِمَادَ عَلَى

الصَّالِحِينَ وَدُعَاءَهُمْ لَا يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ؟

فَهَذَا يُرَدُّهُ مَا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ مِنْ كُفْرٍ مَنْ تَعَلَّقَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ أَوْ عِيسَى أَوْ الصَّالِحِينَ.

فَلَا بُدَّ أَنْ يُقَرَّرَ لَكَ أَنَّ مَنْ أَشْرَكَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ أَحَدًا مِنَ الصَّالِحِينَ؛ فَهُوَ الشِّرْكَُ الْمَذْكُورُ فِي الْقُرْآنِ،

وَهَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ.



### قال الشارح وفقه الله:

يقول رحمه الله تعالى: (فَإِنْ قَالَ: الشِّرْكَُ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ) تسأله الشرك ما هو؟ يقول لك: الشرك

عبادة الأصنام فقط، هذا دليل على أنه جاهل لا يعرف شيئاً، وسؤال غير الله ﷻ هو شرك، سؤال غير الله

فيما لا يملكه إلا الله، وما لا يقدر عليه إلا الله لا شك أنه شرك، والله ﷻ قد بينه في القرآن: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلِ أَفَاتَخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ

يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ



عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿الرعد: ١٦﴾، يعني هم كفار قريش ما قالوا هذا، لكن إذا ظنوا أن الشرك هو فقط في عبادة الأصنام كونها تخلق، إذا هذا خطأ، لأنهم هم أنفسهم أقروا بأنها لا تخلق ولا ترزق ولا تفعل شيء، وشهد القرآن عليهم بذلك بأنهم أقروا.

قال: **(فَإِنْ قَالَ: الشُّرْكُ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ، وَنَحْنُ لَا نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ)**، وهذا مُثَبِّتٌ جهله، لأنه يظن أن معبودات غير الله هي فقط أصنام، والأصنام في الحقيقة: هو اسمٌ يُطلق على نوعٍ من المعبودات، وهي كل ما له صورة أو شاخص كالأصنام التي تُصنع من الحجارة أو من الخشب على شكل إنسان أو حيوان، هذا يُقال عنه: صنم، لكن ليس كل ما يُعبد من دون الله يُقال له: صنم، إما أن يُقال: طاغوت، أو يُقال: وثن. وتسميته بالوثن عامةٌ لكل ما يُعبد من دون الله، ولذلك لما أنكر الله على جميع الكفار قال: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿العنكبوت: ١٧﴾.

وقال تعالى في العنكبوت: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [العنكبوت: ٢٥]، إذا اتخذوا أوثاناً، والنبى ﷺ دعا في آخر حياته فقال: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد». دلالة على أن الوثن أعم من الصنم، الصنم: ما كان له صورة أو شاخص، وأما الوثن كل ما يُعبد من دون الله ولو كان قبراً مسوياً بالأرض كله يُسمى وثن.

ثم قال رحمه الله تعالى: **(فَقُلْ لَهُ: مَا مَعْنَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ؟)** إن كنت أنت تزعم أن الشرك هو عبادة الأصنام، وأنتم لا تعبدون الأصنام، إذا ما هي عرفها؟ قال: **(أَتَظُنُّ أَنَّهُمْ)** يعني الإمام محمد بن عبد الوهاب يقول لك أنت تقول لذلك الذي يعبد الأصنام، تقول له: أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار الأصنام، الأصنام إما أن تُصنع من الخشب أو من الحجر من الطين على شكل إنسان، **(تَخْلُقُ وَتَرَزُقُ وَتَدَبِّرُ أَمْرَ مَنْ دَعَاهَا؟!)**، وهذا المعبودات كانت تعبدها قريش، والله ﷻ في القرآن قد أثبت أن قريش لا تزعم أن أصنامهم تخلق وترزق، وتُدبِّرُ الأمر، كما قال الله ﷻ: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ

الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ [يونس: ٣١].

إذا إما أنه لا يعرف معنى العبادة، أو أنه يُراوغ من أجل أن لا يُقر بخطئه، ويرجع عنه كبراً وعلوًا، وإلا الحق بين ظاهر أبلج.

قال: (فَهَذَا يُكَذِّبُهُ الْقُرْآنُ).

وَأِنْ قَالَ: هُوَ مِنْ قِصْدِنَ خَشَبَةً، أَوْ حَجَرًا، أَوْ بُنْيَةٍ عَلَى قَبْرِ أَوْ غَيْرِهِ، يَدْعُونَ ذَلِكَ وَيَذْبَحُونَ لَهُ يَقُولُونَ: إِنَّهُ يُقَرِّبُنَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى، وَيَدْفَعُ عَنَّا اللَّهُ ﷻ بِبِرِّكْتِهِ وَيُعْطِينَا بِبِرِّكْتِهِ

فَقُلْ: صَدَقْتَ)، إذا كان هذا هو الفهم الذي تفهمه عن الشرك فصدقت، لكن ماذا؟ قال: (وَهَذَا هُوَ فِعْلُكُمْ عِنْدَ الْأَحْجَارِ وَالْأَبْنِيَةِ الَّذِي عَلَى الْقُبُورِ وَغَيْرِهَا) ماذا تصنعون عند الأحجار والأبنية التي على القبور قبور الصالحين والأنبياء، ماذا تفعلون هناك إلا هذا الأمر تسألونهم رزقًا، تسألونهم ولدًا، تسألونهم صحةً، تسألونهم سعادةً، تسألونهم الشفاعة، فهذا كله يرد ما قدمت من قبل من أنك لا تُشرك بالله، لأن الشرك عبادة الأصنام، هذا يرد ذلك كله ويُبطله، لأنك تظن أن الشرك هو عبادة الأصنام، وعبادة الأصنام تظن أنها يطلبون من هذه الأصنام أن تخلق وترزق، مع أن قريش التي كانت تعبد الأصنام ما قالت تخلق وترزق، بل أقروا بأن الذي يخلق ويرزق هو الله، وليس الأصنام ولا غير الأصنام.

قال: (فَإِذَا أَقَرَّ أَنْ فِعْلَهُمْ هَذَا هُوَ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ، وَهُوَ الْمَطْلُوبُ) يعني وصلنا إلى الأمر الذي من أجله بسطنا الحوار والنقاش مع هذا الذي كان يعبد الأصنام، وانتهى الأمر الآن وهو يعود إلى حضيرتنا مسلمً صحيح الإسلام يتأسى بالنبي ﷺ، وإن لم يُقر فهو مكابرٌ مُعانِدٌ سائرٌ على ما هو عليه.

والله تعالى أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين